

الثقافة الإسلامية

العلوم الشرعية بين والمقاصد والوسائل



أحمد السيد



تابع لمزيد على
قناة التليجرام

العلوم الشرعية بين المقاصد والوسائل – أحمد السيد

رابط المذاكرة

❖ ذكر الله سبحانه وتعالى اسم العلم ولفظه في كتابه، ووصف الوحي الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم، وجعل هذا العلم كافياً ومغنياً لصاحبه، وجعل من يتلقى هذا العلم مستغنياً عن الاحتياج إلى شيء آخر مما يخالفه من أهواء الناس.

✓ قال الله تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

✓ وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾

❖ وكذلك جاء لفظ العلم في آيات أخرى فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

❖ وذكر العلم في القرآن يعني ما يـ ستلزمه هذا العلم من اتباع ومن سير ومن استغناء ومن عمل

بمقتضاه، ولذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر من يقوم الليل قائلاً: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُ عَائِذِ اللَّيْلِ

سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾

❖ ونجد أن الله سبحانه وتعالى ذكر -بعكس ذلك- أناساً لا يعلمون الكتاب إلا أمانياً، وذكر أناساً كان لديهم شيء من العلم ثم شبههم بالحمير، وذكر بعض من أوتي الآيات ولم يعمل بها ف شبهه بالكلب. فقضية العلم قضية ليست قضية متأخرة السياق متأخرة التاريخ. وإنما هي قضية متصلة بالوحي في أساسه.

➤ **الخلاف الموجود اليوم:**

اليوم يوجد مدارس علمية كثيرة واختلافات مذهبية وعقدية وفقهية، وهذه الاختلافات وهذا التنوع مبني على خلافات موجودة في التاريخ، فالطلاب أمام بحر من الاختلاف، وهذا الاختلاف الموجود اليوم على نوعين: اختلاف تنوع واختلاف تضاد.

➤ **التفريق بين وسائل العلم وبين مقاصده:**

❖ له أكثر من صورة: -

الصورة الأولى: التفريق بين وسائل العلم وبين مقاصده العامة الغائية:

وأعظم غايات العلم = العمل. وهذا العمل يسبقه تعظيم لهذا الأمر. ويسبق هذا التعظيم التصديق بهذا الأمر. فصارت عندنا ثلاثة أمور: ١- تصديق بالأمر. ٢- وتعظيم للأمر. ٣- وعمل بالأمر، وهكذا في قضية النهي.



العمل الذي يترتب على العلم كمقاصد وغايات نوعان:

١ **عمل ذاتي (غير متعبد):** كالصلاة والصيام وما إلى ذلك من العبادات الذاتية.

٢ **عمل متعبد:** متعلق بواقع المسلمين والإحسان إليهم ونصرتهم والقيام بحقوقهم، وما يتعلق بالواجبات العامة والمسؤوليات العامة التي يتحملها الإنسان.

- الفصل بين العلوم الإسلامية والشرعية وبين معاني التزكية والامتثال والاستصلاح الأخلاقي والقلبي هو فصل بين الغايات (المقاصد) وبين الوسائل، وإذا رجعنا إلى الوحي الذي امتدح العلم وتحدث باسم العلم سنجد أن المعيار الذي يدلنا على الصواب في مثل هذه القضايا هو ما جاء في الوحي في مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم.
- فإذا رجعنا إليها سنجد أن هذه الغايات لا تنفصل أبداً عن مقاصد العلم وعن معانيه وأن مجرد الإتيان المعرفي والتخصص المعرفي - ولو كان في علم من علوم الشريعة - إذا لم يترتب عليه من أثر عملي من إيمان بالله وخشيته له ومن قيامه بحق العلم هذا بمجرد أمر فيه نقص.

هناك نوعان من الأسباب التي تجعل طالب العلم لا يحقق أثر العلم ومقامات التعبد (العمل الناتج عن العلم):

① **النوع الأول:** له بابان:

١ **الباب الأول:** أن طبيعة العلم الذي اعتنى به طبيعة موهلة في النظرية، وقد يكون فيها من الدواخل على صفاء العلم المتصل بحقائق الشريعة ما دخل وأثر سلباً. من أراد أن يحقق مقاصد العلم في الإسلام فليحرص أن تكون المدخلات العلمية التي يتعامل معها مدخلات مقاربة للمدخلات التي عظمها الوحي.

٢ **الباب الثاني:** أن يكون هناك استغراق تفصيلي فيما لم تطلب الشريعة أو ليس من مقاصد الشريعة، هذا الاستغراق فرع عن الأول، يعني من لا يجعل مركزيات الوحي مركزيات في تكوينه العلمي فإن الفروع والأمور التفصيلية التي ليست مركزيات تعظم في عينه.

② **النوع الثاني:** من الأسباب التي تؤدي إلى تخلف العمل عن العلم الفساد أو الموانع القلبية التي هي من باب مشبطات الهمم والعزائم. فالباب الأول هو باب علمي، والباب الثاني هو باب عملي متعلق بالقلوب والهمم والعزائم وما إلى ذلك، والبابان بينهما ترابط.



الصورة الثانية: باب المقاصد (الغايات) الصغرى:

وهي الغايات المتعلقة بكل علم في ذاته، وفيه قدر كبير من الجمود والغياب في التفاصيل عن مراعاة المقاصد الخاصة المتعلقة بكل علم من هذه العلوم وغياب المقاصد وعدم استحضارها يؤدي أيضا إلى خلل في المركزيات.

غياب مقاصد العلم عن طالب العلم وعن المحققين في ذلك العلم جعل العلم قاصرا عن مواجهة التحديات الجديدة التي ينبغي أن تواجه بمثل هذا العلم بعينه.

طلب العلم بقصد الهداية لا يعود على التحقيق العلمي النظري بالإبطال، بل يجعل المرء حريصا مجتهدا ليتتبع النواحي النظرية التي يمكن أن تفيد وتثمر، ويتعب ويجتهد ويبدل ويحتسب كل لحظة يبذلها للعلم في سبيل الله سبحانه وتعالى، وأن هذه سنة العلم وسنة أهله.

